بوذية الزن

مقالة في التطور العقدي للبوذية

دخالد السيد محمد غانم
قسم الدعوة وأصول الدين
كليةالعلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
khaeld.ghanem@mediu.ws

***خلاصة*——هذه المقالة تعرض لمقدمة موجزة حول مفهوم بوذية الزن، ومراحل تطورها .**

الكلمات المفتاحية- مفهوم بوذية الزن- الداعون لها ، وأصولها.

1 - المقدمة

مقدمة للحديث عنبوذية الزن الموجودة فى اليابان على الرغم من التواجد الفعلى لأصولها فى الهند الموطن الرئيسي للبوذية، ثم الصين بعدما توافدت عائلات بوذية من الهند على الصين حتى نافست الديانات الأصيلة لها - أعنى الكنفوشيوسية والطاوية - عددا وقوة وانتشارا واعترافا.

2 - موضوع المقالة

أصول بوذية الزن

تعود أصول الزن إلى الهند والصين. ولقد علَّم غوتاما البوذا بوذية مهايانا Mahayana (التي يتشكل منها الزن بصورة أساسية) بين عامي 550 و ± 480 ق.م. وتمخضت هذه تحت حكم الإمبراطور العظيم أشوكا (274-237 ق م) عن حضارة من أروع الحضارات التي عرفها التاريخ.

كانت تعاليم البوذا شديدة التجريد. فكان يدين بصرامة كافة ألوان التطيُّر والممارسات الشعائرية التي تشكل البقايا الأخيرة للفترة الأضحوية للفيدا *Veda*. وتلكم هي الأسباب العميقة التي أدت إلى اضطهاد البوذية في الهند بعد انطلاقتها الهائلة فيها. التجأ رهبان بوذيون كثر إلى الصين حيث أدخل اثنان من الهنود، متنغا وبهورانا "عقيدة اليقظة الداخلية" في مدينة لويَنغ حوالى عام 65 ب.م.

وفي الصين، حيث عُرفت البوذية باسم تشآن *Ch'an*، بلغت هذه ذروة إشعاعها وعمقها الفكري.

في ذلك العصر كانت الصين متشربة للكونفوشية وللطاوية بخاصة. كانت غالبية معلّمي التشآن طاويين قبل دنوّهم من البوذية. إن جوهر الطاوية من الشبه بجوهر بوذية "المركبة الكبرى" the Greater Vehicle (مهايانا) بحيث يصعب للوهلة الأولى التمييز بين تعاليم كل من المدرستين. الأمر الذي جعل أحد معلمينا التيبتيين سمتِم خَم با: "كما الماء الزلال يتحد بالماء الزلال كذلك شكلت بوذية مهاينى والطاوية ذلك التيار من الماء الزلال الذي هو التشآن."

لقد ولدت بوذية التشآن بصفة خاصة اعتباراً من ترجمات علامة هندي يدعى كوماراجيفا حوالى القرن الثالث الميلادي. فعلى غير ما أكّد مؤلفون كُثُر، ليس بودهيدهرما مؤسِّسها. لقد سبقه إلى ذلك طاو-أن وشينغ-شاو وطاو-شينغ الذين عاشوا في القرنين الثالث والرابع. ولم يقدم بودهيدهرما حاملاً إسهامه الهام في نمو التشآن (الـزِنْ Zen باليابانية) إلا حوالى عام 528 م.

وقد خلفه آباء شيوخ عديدون. وقد نشر هؤلاء غالبية المؤلفات ذات غنى المضمون الاستثنائي. ولنشر بين أكثرهم شهرة إلى سِنغ-تسانغ، هوي-ننغ وشِن-هوي. وقد بلغت البوذية ذروة نموها عمقاً بين القرنين الرابع والثامن م.

لقد عرف أوْجَه بتوجيه من شِن-هوي (668-760)، الشيخ السابع الذي لُقِّب بعد موته بالإمبراطور. وخلال القرون السادس والسابع والثامن تسربت البوذية إلى اليابان عبر كوريا. ولقد استقرت بوذية التشآن رسمياً في اليابان حوالى عام 1191 حيث عُرفت باسم الزن.

ولما كان منهج الزن يرتكز أولاً وأخيرًا على جوهر المحبة ممثلاً بالوحدة الكلية، فإننا لانستطيع إلا وأن نحدس هذه الوحدة في كافة أشكال وطرق هذه المدرسة. ومع تنوع الأساليب، يمكننا مباشرة إدراك هذه الطريقة المميزة في التعامل مع العقل... فالعقل هدَّام للوحدة، ولابدَّ من السيطرة على نزواته في التفكُّر بالظاهرات. وعندها نستطيع تحرير طاقة العقل فتشرق فينا. ولنحاول بادئ ذي بدء، وقبل التطرق للتطور التاريخي لمدرسة شان، إيراد بعض الحواريات التي اشتهرت بها هذه المدرسة، فنتلمس منذ البداية نسقها العام، ونتهيأ للولوج إلى جوهر تعاليمها.

لم يبشر بوذا بديانة أو بمعتقد، بل علَّم فلسفة أخلاقية حياتية وتطبيقية. وشكلت هذه الفلسفة أساس كافة المدارس البوذية التي ظهرت فيما بعد أو معظمها. ويتألف جوهر التعليم البوذي من أربعة مبادئ نبيلة: يقول المبدأ الأول إن كل شيء ألم. فالألم كامن في قلب الوجود، وهو سبب الموت والعود للتجسد. ويتعلق المبدأ الثاني بأصل الألم، وهو العطش للعالم والرغبة بالوجود؛ وهي رغبة لا تنفصل عن الجهل. وهذا العطش وهذا

الجهل يولدان جذور الشر والألم الثلاثة: الشهوة والحقد والخطأ. أما المبدأ الثالث فهو إزالة الألم، أي الانعتاق المطلق. والمبدأ الرابع هو الطريق (مارغه marga) الذي يقود إلى إيقاف الألم؛ ويدعى طريق الانعتاق هذا أيضًا بالطريق المقدسة ذات الفروع الثمانية: كمال المعتقد، والنية، والكلمة، والنشاط الجسماني، ووسائل المعيشة، والجهد، والانتباه، والتركيز العقلي. وترتبط هذه المبادئ بتعليم أخلاقي وبتمارين نفسية وجسدية تساعد على التركيز الروحي وعلى اتباع درب القداسة التي نصل في نهايتها إلى اليقظة، بودهي Bodhi.

وخلاصة القول: ينبغي أن نعيد النظر دراسة وتأصيلا لتاريخ العقائد والأديان وتاريخها ومراحلها حتى نستطيع إبانة الغث من السمين والباطل من الحق لعل الناس يهتدون.

المراجع

1 - الديانة الطاوية وموقف الإسلام منها – د / خالد السيد غانم
2 - تاريخ تطور الفكر الصيني – ترجمة د/ عبد العزيز حمدي.
3 - تاريخ العلم والحضارة فى الصين ـ جوزيف نيدهام.
4 - تاريخ الصين ـ هيلدا هوخام